رسالة من الفقيه الحاج أحمد سكيرج رحمه ا لمفتي مدينة مستغانم الجزائرية السيد عبد القادر مصطفى بن قدا(1)

الحمد لله وحده 3 ربيع الثاني 1338هـ

حفظ الله بمنه مجادة الفاضل الأمجد، الكوكب الأسعد، العارف بالله سليم الصدر، منور الطوية، جميل الإعتقاد، رفيع الدرج بين أهل الوفا، مفتي الحضرة المستغانمية، الشيخ عبد القادر بن قدا مصطفى، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وتحياته وزكواته عن مدد مولانا رسول الله (ﷺ)، وبعد فقد حل سيدي رقيمكم الكريم، فقرأته والعين تدمع دمعة سرور وفرح.

غلب السرور علي حتى أنني من فرط ما قد سرني أبكاني

أذكرني سويعة أنس جاد الزمان بها بالإجتماع بكم، فجعلته فوق رأسي تنويها بقدر كاتبه، وسجدت لله شكرا على ما منحني من صدق إخائكم ومحبتكم، فتلك نعمة علي أقدر قدرها بالإعتبار، وإن كنت لا أقدر قدرها ولو أطلت في شكرها في الإقبال والإدبار، أما وحقك أيها الأخ في الله ما نسيت تلك اللويلة التي لم يسمح لي الزمان بمثلها معكم، فكانت عندي ليلة مباركة، والواسطة فيها هو الحبيب الحبيب(2) دام حفظه، فلقد عرفني بكم وبالبدور الثلاثة الحالين حلول الشمس في الشرف لدينا، أبي المفاخر الكريتلي(3) وأبي المواهب ابن باهي(4) والحاج بن عيسى(5)، فأنتم أيها السادات محل الفضل ومعدن الخير، دمتم في هناء تام، وعليكم مني أتم السلام، وإني أشكر حضرة الشيخ المفتوح عليه بما منح من حسن التعبير في الأقران، سيدي محمد بن قدور بن سليمان(6)، حيث كتب لكم معلما بتوليتي خطة القضاء. والله يلطف بنا فيما جرى به القضاء، فكان هذا السيد هو المحرك للطيفة الود القلبي.

---

(1) مفتي مدينة مستغانم الجزائرية العلامة الفقيه المقدم المبارك سيدي عبد القادر بن مصطفى بن قدا، انظر ترجمته في الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 68.

(2) إشارة للفقيه الجليل سيدي الحبيب بن عبد المالك العلوي، سبق التعريف به في هذا الكتاب ج 1 ص 16 من هذا التأليف.

(3) العارف با محمد الحراق الكريتلي، التركي أصلا، المستغانمي الشاذلي مشربا وطريقة، انظر ترجمته في الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 71.

(4) قاضي مستغانم العلامة الفقيه أبو عبد ا سيدي محمد بن باهي، وهو من خاصة المقدمين في الطريقة التجانية، انظر ترجمته في الرحلة الوهرانية للعلامة سكيرج ص 66.

(5) أبو المعارف الفقيه سيدي الحاج محمد بن عيسى، من أهل الرسوخ والعرفان، شاذلي الطريقة، له محبة تامة في سائر الأولياء، انظر ترجمته في الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 77 .

(6) محمد بن قدور بن سليمان الندرومي، فقيه متصوف، له أتباع ومريدون، خاصة بمنطقة مستغانم، ووهران، وتلمسان، وغير ذلك من الشمال الغربي لبلاد الجزائر، وقد تصدر لإعطاء وتلقين أوراد

ولقد كان كتب إلي بأنكم كنتم أخبرتموه بحلولنا بمستغانم زمن زيارتي لها، وأنه من ذلك الوقت وهو متشوف للإجتماع بنا، ولقد أجبته عن كتابه إلي بجواب سميته : عقد المرجان الموجه إلي سيدي محمد بن سليمان(7)، وأحلته فيه على جوابي لرسالته(8) التي وجهها لسيدي الأخضر الجبلي التجاني بندرومة، وسميته : تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح فيها طول الزمان، ولا يصح أخذها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان(9).

ولقد تكلمت في هذا الجواب بلسان الطريق من غير أن نأتي بأدنى ما يمس بهضم جانب هذا السيد الفاضل، إلا أنني نصحته غاية بأن يكتفي بما عنده من الإذن في خاصة نفسه، ويلقن غير الطريقة التجانية لمن طلبها منه، أما الطريقة التجانية وإن حصل له الإذن فليكتف بها في خاصة نفسه حتى لا يتعرض أحد للإعتراض عليه فيما قام به من الدعاء إلى الله، وقد بينت الجواب على أساس متين، ولا يخفى عليك أيها الأخ : زماننا ما هو ومن هم أهله، والتظاهر بمثل ما تظاهر به سيدي محمد بن سليمان يؤدي إلى سرعة الإعتراض عليه والنكير من القاصرين، وليت شعري كيف حال من يجتمع بالنبي (ﷺ) في هذا الوقت ويصرح به، والأجانب تسمع هذا وتعده من قلة عقل المسلمين، فالأولى هو كتم مثل هذا الأمر، والذي أعتقده في هذا السيد الفاضل أنه رجل من أصحاب الدلال والجمال، الذين ذاقوا ذوق الرجال. وأعطي لسان التعبير، ولكن رغم انبساطه في هذا البساط لم ينظر إلى مزية غيره من أهل الغيرة الربانية أو النفسانية، ولقد شممت منه رائحة حب الاستيلاء على القلوب بعباراته المعسولة الممزوجة بسحر الوعد وعظيم الوعيد، وما أظن علماء الظاهر في وقتنا هذا يلتفتون لمثل هذا الأمر، بل يتهمون من تظاهر به ولو بلغ ما بلغ في الرشد والإرشاد، وعلت رتبته فوق غيره من العباد. ولقد من الله علي أيها الأخ بما لو ذكرته للغير لكذبني في الحين، بما لا أذكره خشية تعجيل العقوبة على يدي للغير، ولم أصدق نفسي في الأمر حتى تحقق فيمن نظرته ممن أخبرته واستكتمته فلم يكتم، والذي أصرح به لك أيها الأخ أنه من الألطاف الإلهية في اشتغالي بالخدمة المخزنية نعمة من المولى، حيث حجبتني عن الدعوى،

جميع الطرق، فضلا عن طريقته الخاصة التي كان يأذن فيها لمريديه، وادعى بأنه مأذون في ذلك من طرف الحضرة النبوية، وكانت الطريقة الأحمدية التجانية واحدة من تلك الطرق التي يلقنها للغير، وهو صاحب فتوحات وخوارق، وقد سلم له في ذلك الكثير من الناس القاطنين بالمناطق المذكورة، وأحدث تصدره لجميع الطرق بما فيها التجانية ضجة بين أوساط الفقراء التجانيين هناك، غير أن بعضهم كان يهابه لمكانته من العلم والولاية، فلم يستطع أحد منهم الإعتراض عليه، وذلك فيما يتعلق بمزجه للطريقة الأحمدية التجانية بغيرها من الطرق الأخرى، فرفعوا الأمر للعلامة سكيرج الذي كان وقتذاك قد عين قاضيا على مدينة وجدة، وبناءا على هذا تصدى العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج للشيخ المذكور، وبين له موقع الخطأ في تصدره المزعوم، ودارت بينهما رسائل في هذا الموضوع، وكعادته رحمه ا ورضي عنه فقد أجابه بتأليفين نفيسين أفحماه من جهة، وأعادا الإعتبار لأهل الطائفة التجانية بتلك النواحي من جهة ثانية.

(7) من تآليف العلامة سكيرج، طبع بمطبعة النهضة بتونس في 16 صفحة.

(8) وقفت على هذه الرسالة بالخزانة السكيرجية، وقد أخذت نسخة طبق الأصل منها، وهي في 20 صفحة، تحدث فيها صاحبها المذكور بأنه مأذون له من طرف الحضرة النبوية في تلقين الطرق التالية، وهي : الطيبية، والجيلانية، والتجانية، فضلا على الدرقاوية التي هي طريقته، وأتى عقب ذلك ببعض النصوص والأقوال والتعليلات، لكنها لم ترق لمنزلة الإستدلال السليم.

(9) من تآليف العلامة سكيرج، طبع بمطبعة النهضة بتونس سنة 1339هـ-1921م، في 232 صفحة.

وإلا كنت في أول القائمين بما قام به سيدي محمد بن سليمان، وقد حصل لي التهديد بالتصريح بما صرح به فلم أقبل، وحفظني الله من هذا الداء العضال الذي من تحكم فيه يرى لنفسه المزية والخصوصية على غيره(10). وأنشدك أيها الأخ كيف تفهم من حال من يتنازل كثيرا عن مرتبته التي تمكن فيها من باب المعرفة الذي لم يفتح إلا لأهل التمكن، فيخاطبه مثله أو من هو أقل منه بما يثير فيه حب الظهور، تبعا لهوى نفساني، فلا وربك لا يليق إلا رفع علم الخصوصية، ويصرح على رؤوس الأشهاد بأنه أولى منه بهذا الأمر دفعا لما يتوهم، وبيانا لما هو أعظم وأفخم، لذلك تعين علي أن أبين لك أن سيدي محمد بن سليمان ذكر لي في كتابه أنك قلت له : ليث سكيرج لو اجتمع بك، فهذا الكلام لو قلته له كان من حقه أن ينزل في الجملة ويقول : ليتني لو اجتمعت بسكيرج، فهذا هو الحال المناسب للتواضع، ولكن مقام الدلال الذي حل به فيما أعتقد لا يرى معه خصوصية لغيره. ولقد زدت استعجابا من قولكم أيها الأخ في وصف هذا السيد بأنه عارف وقته، فهل في الحقيقة أن هذا السيد ليس في الوقت عارف مثله، فوالله إنا لنعلم ونعرف من يجتمع بالنبي (ﷺ)، وله لطيفة ربانية يري بها الحضرة لمن شاء، ولا يدعي المعرفة(11)، ووقتنا هذا فيه عارفون مستترون تحت سوء الظن، ولمراتبهم غيرة على من نسب الخصوصية لغيرهم وهي لهم، فكن عند الظن بك معطيا للمراتب حقها، وأنت بنفسك أهل رتبة لا تسمح لك ولا لغيرك أن يحوم حولها من ليس منها، أو يريد الاستيلاء عليها، فالله يجازيك خيرا على حسن ظنك بأهل المزية، ويكافيك على ما تعتقده في هذا السيد، ولكن نحبك أن تعتقد فينا أننا من عبيد الحضرة، وقد تكلمت معك في هذا الأمر على وجه السر لتخبر سيدي محمد بن سليمان أنني من المحبين فيه لله، وقد كفاني الله عن كل أمر يحاول أن يعلمني به، فإني تجاني محض مصدق لأهل الله معتقد فيهم، يكاشفني الله بمحض الفضل عن المحق من المبطل منهم، ومع ذلك ما علي إلا في خويصة نفسي، فلا يعتقد أحد بأني أعترض على أحد من أهل الله، وأعلمتك بهذا لتكون كما أكون أخوين في الله، وغض الطرف إن رأيت ما يحرك خيطا معلقا في الهوى بهوى، ونحن على العهد نرعى الذمام، وعلى المحبة والسلام. أحمد سكيرج تراب نعل الأوليا.

---

(10) هذا دليل قاطع على ما كان يختزنه العلامة سكيرج رحمه ا ورضي عنه من قوة باطنية خفية، وكيف لا وقد صاحب رجالا وأي رجال، وجالس جماعات من الأئمة الكمال، فحاز من السر ما حازه باعتراف الجميع، ويكفيه أنه جهينة أخبار الطريقة التجانية، وحامل أسرارها وحقائقها ودقائقها، ومع هذا كله كان رحمه ا يحب الخمول، ويلبس حلة الكتمان مع الصدق والتواضع والرضا بأمر ا .

(11) يشير رحمه ا بهذه العبارة لمجموعة من الأكابر ممن اجتمع بهم من أهل الفضل والخصوصية الكبيرة، وكلهم من أعيان المفتوح عليهم من أهل الطريقة الأحمدية التجانية، ويكفينا أن نذكر منهم البركة الصالح مولاي أحمد العبدلاوي، والشريف الملامتي مولاي الطاهر بن سيدي محمد بن أبي النصر العلوي السجلماسي، والعلامة الجليل سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون الإدريسي الحسني، وغيرهم. وهذا من باب التواضع فقط، وإلا فهو واحد من أكابر فرسان عالم الحقائق، فقد أعطاه ا سبحانه وتعالى من الخصوصيات ما لم يعطيه لأحد ممن عاصره من الرجال الأعلام، وقد وقفت بخزانته رضي ا عنه على الكثير من الحجج الدالة على علو شأنه الكبير في الفتح والولاية المصحوبة بالإستقامة والصلاح.